نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٢٤ — مقالة أبي ذر مع معاوية

في (تاريخ الطبري) : أتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله — يا أباذر — ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره . قال : فلا تقله . قال : فإني لا أقول : ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله بكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء مايلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب اليه : جهز أبا ذر إلي ، وابعث معه دليلا ، وزوده وارفق به . فلما قدم المدينة ودخل على عثمان قال : يا أبا ذر ، مالأهل الشام يشكون ذربك ؟ فأخبره أنه لاينبغي أن يقال مال الله ، ولاينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذر ، علي أن أقضي ماعلي ، وآخذ ماعلى الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد . ودخل أبو ذر على عثمان وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف . وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات . فقال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه ...

٦٢٥ — هؤلاء ممالكنا ... !

(إخبار العلماء بأخبار الحلماء) : بلغ نوسيوس (الشاعر اليوناني) أن عدواً له اغتابه فقال هذا الشعر (على طريقة يونان) : بلغنا أن كلباً وقرداً اجتازا بمقبرة سباع ، فقال القرد للكلب : اصعد بنا لنترحم على هؤلاء الموتى . فقال الكلب : ومن أين هذه المعرفة بيننا ؟ قال القرد : سبحان الله ! أما تعلم أن هؤلاء مماليكنا ؟ قال الكلب : والله ما أعلم شيئا من هذا ولكني كنت أحب أن يكون أحدهم حاضراً وتقول هذا .

٦٢٦ — ليس للشيطان ذنب

(تاريخ بغداد) : قال مالك بن أنس : لهؤلاء الشطار[1] ملاحة ، كان أحدهم يصلي خلف إنسان فقرأ الإنسان : الحمدُ لله رب العالمين حتى فرغ منها ثم أرتج[2] عليه ، فجعل يقول : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، وجعل يردد ذلك فقال الشاطر : ليس للشيطان ذنب إلا أنك لاتحسن القراءة.

٦٢٧ — نحب فيها المال والجاها

الشميس الأندلسي :

لله في الدنيا وفي أهلها معمّياتٌ قد فككناها
من بشرٍ نحن ، فمن طبعنا نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم فإنما الناسُ أخلّاها
لم تُقبلِ الدنيا على ناسكٍ إلا وبالرحب تلقّاها
وإنما يعرضُ عن وصلها من صَرَفتْ عنهُ محيّاها

٦٢٨ — فسماهم الزوار سترا عليهم

قال العباس بن خالد البرمكي : كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك — السؤّال ، فقال خالد : هذا اسم

(١) فلان شاطر : خليع (الأساس) الشاطر : من أعيا أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، وهو مأخوذ من شطار عنهم إذا نزح مرائما وقد قيل إنه مولد .

(٢) من المجاز : ارتج عليه إذا استغلق عليه الكلام

أستقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمى به أمثال هؤلاء المؤملين ، لأن تيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكنا نسميهم (الزوّار) وفى ذلك يقول بشار :

وكان ذوو الآمال يُدعون قبله
بلفظ ، على الإعـــدام فيه دليل[1]

فسماهم الزوار ســـتراً عليهم
فأستاره فى المجتدين سدول[2]

٦٢٩ — بين امامين ...

فى كتاب (سحر العيون) :

من بديع الاتفاق أن قاضى القضاة شيخ الإسلام بدر الدين محمود (العينى) الحنفى لما ولى مشيخة المدرسة المؤيدية التى بباب زويلة مالت صارتها فبلغ ذلك قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن (حجر) العسقلانى وكان بينهما ما يكون ما بين المعاصرين فأنشد بديهة :

لجـــامع مولانا المؤيد رونق
منـــارته تزهو على الفخر والزين
تقول وقد مالت عليه تمهـــلوا
فليس على حسنى أضر من (العين) ى ،

فلما بلغ ذلك العينى أجابه بهذين البيتين ، والمشهور أنهما من نظم الشيخ شمس الدين النواجى على لسان العينى :

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا خطأ
ما أوجب الهدم إلا خسة (الحجر)

(١) أعدم : افتقر ، وأعدمه غيره ، والعديم الذى لا شىء عنده وجمعه عدماء .

(٢) السدول : جمع السدل وهو الستر والسدول : ما جلل به الهودج من الثياب ، وسدل الثوب والستر والشعر : أرخاه وأرسله ، وأسدله

٦٣٠ — افتح عينك

قال صاحب كتاب (سحر العيون) :

كنت حاضراً فى مجلس بين يدى شيخنا المرحوم برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن الملاح — وقد سأله بعض أبناء الأتراك أن يقرأ عليه فى العروض ، فكسر العين من العروض ، فقال له الشيخ : افتح عينك .

٦٣١ — فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء

فى كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى : حكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية[1] كان يختلف إلى بعض المتكلمين ، فأتاه مرة فناظره ، فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها ، فرجع إليه فقال : سرقت دابتى . فقال : ويحك ! لعلك لم تأت راكبا ، قال : بلى ، قال : فكرّ ، قال : هذا أمر أتيقنه فجعل يقول تذكرّ . فقال : ويحك ، ويحك ! ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أنى جئت راكباً . قال : فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء وأن حال اليقظان كحال النائم ، فوجم السوفسطائى .

* * *

فى (العقد) لابن عبد ربه : دخل رجل على المأمون فقال لثمامة بن الأشرس : كلمه : فقال له ما تقول ؟ وما مذهبك ؟ قال : أقول : إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وإنما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ، ولا شىء فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال : (يا أمير المؤمنين) يفعل بى مثل هذا فى مجلسك ؟ قال ثمامة : ولعلى إنما دهنتك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولعـــل آدم أمنا والأب حوا فى الحساب
ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قـ ـت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زئبق وعسى البهار هو السذاب[2]

(١) زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما نتبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده (ابن الجوزى) .

(٢) البهار والسذاب : نباتان طيبا الرائحة .